موقف النقاد القدامي و المعاصرين من قضايا النثر

ألاستاذ الدكتور تورج زيني وند
قسم اللغه العربيه و آدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، ايران
T_zinivand56@yahoo.com

التقديم: 2022/12/20 القبول: 2023/8/13 النشر: 2023/12/15

DOI: https://doi.org/10.36473/ujhss.v62i4.2108

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

الملخص:

تقوم الدراسة بالبحث عن آراء النقاد القدامى و المعاصرين بشأن قضايا النثر العربى؛ ونظرًا إلى أهميّة النثر العربي بأنواعه في تنمية العقل العربي وتطور الحضارة الإسلامية، هدف البحث إلى تحليل آراء هؤلاء النقاد حول النثر، ويسعى إلى المقارنة بين آرائهم النقدية. إذ توصّل إلى هذه الفرضية الأساسية وهي: إنَّ الملاحِظ في آراء النقاد القدامى لا يجد آراء علمية أو مطوّلة في المناقشات النقدية تدلّ على اهتمام هؤلاء القدامى بدراسة النثر، في حين أنهم أولوا عناية واسعة بالبحث عن قضايا الشعر.

وأمّا المتأمّل في آراء المعاصرين؛ فيجد أن النثر يعدّ عندهم معدن العلم والمعرفة، وقد أصبح لديهم لسان الحضارة والمجتمع والثقافة والسياسة. إنَّهم درسوا قضايا النثر من زوايا متعدّدة، وهذا ما يميّز جهودهم من السّلف الماضيين.

الكلمات المفتاحية: النثر العربى، النقد االعربي، النثر الفني، نقد النثر.

The position of ancient and contemporary critics on prose-related issues

Touraj Zeinivand, Professor of Arabic Language and Literature, Department of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermanshah, The Islamic Republic of Iran.

Abstract:

This study explores the opinions of ancient and contemporary critics on the issues related to Arabic prose. Given the importance of all forms of Arabic prose in the development of the Arab though and the development of Islamic civilization, this analytic-descriptive research aims to analyze the opinions of these critics about prose and also seeks to compare their critical opinions. The research concludes that ancient critics did not offer scientific or lengthy opinions about literary criticism since their primary focus was on poetry. On the contrary, contemporary critics believe that prose is the origin of science and thought and the language of civilization, society, science, culture, and politics. They have examined prose-

related issues from various viewpoints, which is a clear distinction between them and their predecessors.
Keywords: Arabic prose, Arabic criticism, artistic prose, prose criticism

مقدّمة:

إنّ النّثر العربي في العصر الجاهلي كان على شكل قصص وحكم أو أمثال وسجع الكهّان، وفي العصرين الإسلامي والأموي، اتّخذ شكل خطب ورسائل أفرضتهما الظّروف الدّينية والسّياسية والاجتماعية والثّقافية إلاّ أنّه أخذ في العصر العبّاسي ينحو نحو الكمال والازدهار، ويشتمل نواحي العقل والشّعور فصار منطوياً على المضامين المتعدّدة والأساليب المتنوعّة، نتيجة للنهضة العلمية والفكرية أو الحيويّة الّتي شهدتها الحضارة الإسلامية إثر رفعة المستوى العقلي لدى العرب، وبسب احتكاكهم بالأمم الأجنبية، ولاسيّما الإيرانيين الذين لهم مكانة مرموقة في بلوغ النثر العربي إلى ذروته وكماله مضموناً وأسلوباً.

والملاحظة المهمة الّتي نلمسها في دراسة النّثر الأندلسي هي أنّ النّثر العربي بالأندلس، وعلى الرغم من بعض المحاولات التّجديدية الضئيلة، فكان تقليداً عن أدب المشارقة، ولاسيّما العبّاسيين. الأمر الّذي أدّى إلى أن يقوم النّثر الأندلسي على محاكاة أسلوب المشرقيين في صور من الاقتباس والاختلاط والاضطراب.

وإذا ما أوغلنا قليلاً في النثر العربي بعهد الانحطاط، فيتبيّن لنا أنّه انسلخ عن ذاك الرونق والكمال الّذي عاشه في العهد العبّاسي، وبدأ الكتّاب يميلون نحو التأليف والتدوين إلاّ أنّ أساليبهم لم يأمن من التّعقيد والتصنّع والتّقليد والتّكرار والركاكة والضّعف.

ولما ننتقل إلى العصر الحديث فنجد أنّ النّثر العربي أخذ يتمتّع بنهضة واسعة إثر تعرّف العرب بالآداب الغربية ومناهجم في الكتابة والنّقد والتّأليف وسرعان ما ازدهر النّثر العربي بعد إنشاء الصّحف والمجلات ونموّ حركة النقل والترجمة، ووجد طريقه في السّاحات الدولية والعالمية. وليس معنى ذلك أنّ الغرب يعدّ العامل الوحيد في تطوير النّثر العربي والتّجديد فيه، بل التّراث الضّخم الّذي ورثه العلماء والأدباء عن الحضارة الإسلاميّة على مرّ العصور، دفعهم إلى التّطوير والتّجديد، ولقد مهّد لهم الغرب الأرضية الخصبة لما أرادوا من التجديد والتحديث.

أمّا النّثر؛ فإنّه مشتق من المادّة اللّغوية «نَثَرَ» وهذه اللّفظة تدلّ على الشّيء الّذي يُرمى أو يُلقى مُتفرّقاً ومُبعثراً. جاء في لسان العرب لابن منظور: «نَثْرُكَ الشّيءَ بيدك تَرمي به مُتفرّقاً. مثلَ نَثرِ الجَوز، واللّوز والسُّكَّرِ وكذلك نَثرُ الحَبِّ إذا بُذِرَ»(ابن منظور،2005م،ج13،ص118) (**Ibn Manzur, 2005, vol. 13, p. 118**)

ثمّ تدرّجاً أخذت هذه اللّفظة الّتي تحمل دلالة الشّيء «المبعثر»، و«المتفرّق»، و«المتشتّت» (أي بلا انتظام)، مدلولة معنوية؛ بمعنى «الكلام»؛ ذلك الكلام الجيّد الّذي يُرسَل بلا وزن وقافية. وهو بهذه الميزة يكون خلاف النّظم الّذي يعتمد على الوزن والقافية.(أنظر:الأنيس و الآخرين،1972،ج2،ص900) (**See: Al-Anis and others, 1972, vol. 2, p. 900**)

يعالج *شوقي ضيف* في كتابه *الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي* تعريف النّثر وأنواعه قائلاً:

النّثر هو الكلام الّذي لم يُنظَم في أوزان وقواف، وهو على نوعين:

• **النّثر العادي:** فهو الّذي يقال في لغة ، وليست له قيمة أدبية إلّا ما يجري فيه أحياناً من أمثال وحِكَم.

• **النّثر الفني:** فهو الّذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فنّ ومهارة وبلاغة، وهذا الضرب هو الّذي يُعنَى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودَرسَه وبيان ما مرّ به من أحداث وأطوار، وما ينماز به في كلّ طور من صفات وخصائص. وهو يتفرّع إلى أقسام؛ كالخطابة والكتابة الفنّية وهي تشمل القِصَصَ والرسائل الأدبية المحبَّرة وغيرها من الكتابة المنمّقة. (ضيف،لا.تا،ص15) **(dheef, no. ta, p. 15)**

ويعرّف *حنّا الفاخوريّ*، النّثر اصطلاحاً في كتابه *الجامع في تاريخ الأدب العربي* مميّزاً بينه وبين الشّعر: فهو الكلام المرسل على نحو مرتجل وعفوي من دون أن تتقيّد بوزن أو قافية اللهمّ إلّا فيما يُسمّى السّجع الّذي يتميّز بوجود القافية، وأنّ الشّعر كلام يحتوي على الوزن والقافية ويتمّ نسجه بشكل منتظم ليختلف بذلك عن النّثر الذي يُعرف بأنه:«الكلام المرسَل على سجيّته لا يقيّده قيد ولا وزن إلّا ما في هنالك ممّا يسمّى سجعاً... والشّعر وهو المعنى الجميل في الكلام الموزون والمقفّى، أي هو المعنى الجميل في القالب الجميل».(الفاخوري،1986،ص23-24)**(Al-Fakhoury, 1986, pp. 23-24)**

ولا يفوتنا أن نقول: إنّ ثمة شيء آخر يدخل في إطار مصطلح النّثر وهو أنّ تعريف النّثر في موقف المعاصرين لم يحدّد بعدم تقيّده بالوزن والقافية، بل إنّهم يعتبرون للنثر سمات خاصّة تميّزه من الشّعر في أغلب الأحيان. منها أنّ النّثر بصفته تجربة فكرية أو شعورية يعتمد على «البنية النحوية» و«التدفّق الطبيعي»؛ يعني أنّ النّثر لا يعتمد على تلك الدّعائم الشّعرية من الوزن والقافية والعاطفة والخيال والقصد ولا يدخل في مختبر العاطفة والإحساس. ولعل أهمّ ما يمتاز به بعد عدم تقيّده بالوزن والقافية هو أنّ جوهره يقوم على تصوير العقل عن طريق الحوار والبرهان والتّوضيح والتّفسير والتّعليل أو التّلميح والرّمز، ليوصل معنى محدّداً أو فكرة معيّنة قد أُسكب في صياغة فنّية جميلة إلى المخاطب أو القاريء. ومن يكتب النّثر فيقال عليه؛ «كاتباً» كما يُطلق على من ينظم الشّعر؛ «ناظماً».

فضلًا عن ذلك فـ «النثر كفن أدبي، مظهر من مظاهر العقل ومرآة الخاطر بما ينال المدارك والمشاعر من عوامل الحضارة، ونتائج العلم، وظواهر العمران. هذا النثر هو النثر الفني المعبّر عن وهج الحضارة المشرقة، الهادفة. ولذا تأخّر ظهوره عن الشعر، الّذي تضوع من النفس البشرية كما يفوح الأريج عن الزهر، وكما ينسل الشعاع من الشمس، بينما النثر، صنو الشعر، يقتضي إعمال فكر، ومراس روية وصناعة فن.

الشعر يجنح به الخيال إلى الآفاق العذراء، وتوهّجه المشاعر العميقة في القلوب وتهذيبه الموسيقى المؤنسة للأسماع ويرفعه الفكر في منطلقاته الرحبة، أما النثر فهو جدول رقراق يجري مع الفكر ويسقسقه المنطق في سلسلة العقلانيات». (حسن،1993،ج1،ص43)**(Hassan, 1993, vol. 1, p. 43)**

ونستطيع أن نقول، على أساس ما تقدّم، إنّ النّثر، وهو خلاف النظم، يخاطب «العقل» و«الفكرة» و«الحقيقة» أكثر ممّا يخاطب «العاطفة» و«الإحساس» و«الخيال»؛ ولكنّ هذا لا يعني أنّ الكاتب يهمل عناصر الأدب من الخيال والعاطفة والإيقاع والموسيقا برمّتها ولا ينظر إليها بنظر الاعتبار؛ بل يستخدمها في إطار معيّن وحتّى قالب منظّم من دون أن يصطبغ الكلام بصبغة الشّعر المعروفة. وبعبارة أخرى؛ النثر والنظم متساويان إلاّ في الوزن والقافية فكلّ ما يوجد من عناصر الأدب في النّظم فيوجد أيضاً في النّثر.

وأمّا النّثر من حيث الغرض؛ فينقسم على النّثر الفني، والاجتماعي، والسّياسي، والثّقافي، والدّيني، واللّغوي، والعلمي، وأنّ النّثر الفني يتفرّع إلى فنون متعددة كالرسائل، والخطابة، والمقالة، والحكم والأمثال، والرّواية، والمناظرة، والقصّة، والمسرحية والنقد الأدبي.

البحث و التحليل

إنّ الملاحظ في آراء القدامى يجد أنّهم عالجوا قضايا النثر في أربعة مجالات معيّنة:

معالجة تعريف مصطلح النثر:

أطلق القدامى (مثل ابن وهب، و ابي هلال العسكري، و ابي القاسم الإشبيلي وابن خلدون) على النثر مصطلحات كثيرة؛ أبرزها «المنثور» (وهو يباين المنظوم) و«الكلام» (يشتمل على الشعر والنثر) و«الكتابة» (تستوعب كتابة الرسائل خاصة الرسائل الديوانية) وهي مصطلحات تبدو متباينة وبينها يُوجد بون شاسع.

تقسيم النثرمن حيث الشّكل والجنس:

النّثر عند القدامى ينقسم باعتبار الشّكل والجنس على: الخطب والرّسائل لأسباب إدارية وسياسية، ثم تدرّجًا تندرج في هذا التّقسيم أو التّصنيف، المقامة، والحكم والأمثال والخبر والوصيّة. مثل هذه التقاسيم يوجد في آراء ابي هلال العسكري، وابن خلدون.

المناقشة في مسألة الأسبقية والأفضلية:

إذا أنعمنا النّظر في آراء القدامى نستشفّ من خلال أفكارهم أنّهم يتحدّثون أيضاً عن النثر في مجال تأخّر ظهوره والأسبقية في الوجود أو يقارنون بينه وبين الشّعر، وهم يعدون النّثر جنسًا أدبيًا أدنى مرتبة من الشّعر، أو أضعف تأثيرًا، أو أقلّ حضورًا، وأنّ هناك الذين يعدّون من أنصار النّثر ويفضّلونه على فرعه وهو الشّعر. مثل هذه المواقف أو المناقشات النقدية توجد في آراء الجاحظ، وابي هلال العسكري، وابي حيّان التوحيدي، ومسكويه وابن خلدون، و القلقشندي.

تسليط الضّوء على النثر موضوعًا وأسلوبًا:

المتأمّل في آراء القدامى، مثل ابي حيّان وابن خلدون، يلحظ أنّهم يعتقدون أنّ لكلا الفنّين (الشّعر والنّثر) معايير خاصة وأساليب محدّدة، وهي لا تلائم فنّاً آخر. فلهذا زبدة القول في كلامهم هي أنّ للنثر أو الشّعر معايير معيّنة ومقاييس خاصّة؛ فهناك ما يصلح للنثر ولا يصلح للشعر والعكس كذلك. (أنظر:عباس،1993،ص633،454،406،387،220)

بعد هذا الحديث عن قلّة عناية النقاد القدامى بالنثر نحبّذ أن نشير إلى أقوال منهم حول النثر محلّلًا موقفهم منه بالإيجاز:

الجاحظ (160-255 هـ):

كان من الذين يفضّل الشّعر على النّثر ويجعل معايير الشّعر أساساً لتقييم النّثر، لكنّه يقول في كتابه «الحيوان» مشيراً إلى دور كتب النّثر في تقييد المآثر وحفظ التراث بالنسبة إلى الشّعر هكذا: «و قد نُقلت كتب الهند، وتُرجمت حكم اليونانية، وحُولت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً، وبعضها ما انتقص شيئاً؛ ولو حُوّلت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز، الّذي هو الوزن، مع أنهم لو حوّلوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم الّتي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم وقد نُقلت هذه الكتب من أمّة إلى أمّة، ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان حتى انتهت إلينا، وكنّا آخر من ورثها ونظر فيها، فقد صحح أنّ الكتب [كتب النثر] أبلغ في تقييد المآثر من البنيان والشعر.(الجاحظ،لا.تا،ج1،ص53)

أبوحيّان التوحيدي (-/ بعد 400 هـ): من أبرز الذين عالجوا إشكالية العلاقة بين النظم والنثر ويعتقد أنّ مبدأ هذه المشكلة أمر فلسفي، حيث يتمثّل في الوزن الشعري وخلوّ النثر منه. ولقد ذهب ابوحيّان صاحب «الامتاع والمؤانسة» إلى أن بلاغة النثر تستلزم مجموعة من الشروط والمواصفات والمعايير: «وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولا، والمعنى مشهورا، والتهذيب مستعملا، والمراد سليما، والرونق عاليا، والحواشي رقيقة، والصفائح مصقولة، والأمثلة خفيفة المأخذ، والهوادي متصلة، والأعجاز مفصلة». (التوحيدي،1424،ج2،ص255) (**Al-Tawhidi, 1424, vol. 2, p. 255**)

ابوعلى مسكويه (320 أو 326-421 هـ): فيقارن في «الهوامل والشوامل» بين الشّعر والنّثر قائلاً هكذا: «فكذلك النّظم والنّثر يشتركان في الكلام الّذي هو جنس لهما، ثم ينفصل النّظم عن النّثر بفضل الوزن الّذي صار به المنظوم منظوماً. ولما كان الوزن حلية زائدة وصورة فاضلة على النّثر صار الشّعر أفضل من النّثر من جهة الوزن. فإن اعتبرت المعاني كانت المعاني مشتركة بين النّظم والنّثر وليس من هذه الجهة تميّز أحدهما من الآخر... ». (مسكويه و التوحيدى،لا.تا،ص309)

ابن رشيق القيرواني (390-456 هـ): كان ابن رشيق من أنصار الشّعر ويفضّله على النّثر في «العمدة» (باب في فضل الشعر) قائلاً(أنظر:عباس،1993،ص454): «وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور. ولكلّ منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، كان الحكم للشعر ظاهرا في التّسمية؛ لأنّ كل منظوم أحسن من كلّ منثور من جنسه في معترف العادة...

اجتمع الناس على أنّ المنثور في كلامهم أكثر، وأقلّ جيداً محفوظًا، وأنّ الشعر أقلّ، وأكثر جيدًا محفوظًا؛ لأنّ في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور. وكان الكلام كلّه منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيّامها الصالحة...». (القيرواني،1981،ج1،ص19-20)

ابن خلدون (732-808 هـ): يعتقد في «المقدمة» (الفصل الثالث والخمسون في انقسام الكلام إلى فنّي النظم والنثر) أنّ ضياع الحدود بين الشّعر والنّثر ليس صواباً من جهة البلاغة، إذ أنّ الأمور الّتي تناسب الأساليب الشعرية ليست ممّا يناسب الأساليب النثرية(أنظر:عباس،1993،ص633) «و قد استعمل المتأخّرون أساليب الشّعر وموازينه في المنثور، من كثرة الأسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض، وصار هذا المنثور إذا تأمّلته من باب الشّعر وفنّه ولم يفترقا إلّا في الوزن». (ابن خلدون،1408،ج1،ص781-782) **(Ibn Khaldun, 1408, vol. 1, pp. 781-782)**

القلقشندي(756-821هـ): والقلقشندي –كما يقول زكي مبارك من الذين رجحوا النثر على الشعر، فقد ذكر في كتابه «صبح الأعشى»(أنظر:مبارك،2012،ص27) :«أن الشعر وإن كانت له فضيلة تخصّه من حيث تفرده باعتدال أقسامه، وتوازن أجزائه، وتساوي قوافيه، مع طول بقائه على تعاقب الأزمان، وتداوله على ألسنة الرواة؛ لسهولة حفظه، وجمال إنشاده بمجالس الملوك،... فإنّ النثر أرفع منه درجة، وأعلى رتبة، وأشرف مقامًا، وأحسن نظامًا».(القلقشندي،1922،ج1،ص58)

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنّ هناك أدباء معاصرون تطرّقوا إلى بعض هذه الجوانب النقدية الّتي أشار إليها القدامى؛ النثر في رأي طه حسين؛ فنّ أدبي كالشعر ويعدّ لغة أدبيّة مثيرة للنفس والشّعور وفي هذا المعنى يتفق مع جوهر الشّعر (الاشتراك في الجوهر) إلاّ أنّه يرى أنّ النّثر يختلف عن الشّعر من ناحية الشّكل الموسيقى (الاختلاف في الشّكل)؛ وذلك لأنّ هذا الفنّ ليس موزوناً كوزن الشّعر؛ لأنّه يمثّل مرحلة من مراحل تطور الشّعر (النثر تعبير شعري)، تلك المرحلة الّتي ضاق فيها الشّعر بوزنه وقافيته عن التعبير عن قضايا الحياة والكون. وفي الحقيقة، يرى طه أنّ الشّعر ظهر قبل النّثر (أسبقية الشّعر)؛ لأنّه متصل بالحسّ والشّعور والخيال وأمّا النّثر فلغة العقل ومظهر من مظاهرالتّفكير؛ فليس غريباً أن يتأخّر ظهوره، ولذا يؤكّد أنّ الشّعر لغة الخيال والإحساس والنّثر لغة العقل والفكرة. (أنظر:موافي،1992،ص226-224)

ويتفق العقّاد مع طه حسين (الشّعر لغة الخيال، والنّثر لغة العقل) إذ يرى أنّ الشّعر فطرة وأنّ النّثر تعليم،(أنظر:العقاد،2014/الألف،ص193) إلّا أنّه يرى الشّعر ليس خيالاً محضاً، وإنّما مزيج من العقل والعاطفة، والنّثر كالشعر في هذه الناحية، فهو ليس لغة عقلية خالصة، وإنّما هو مزيج من العقل والعاطفة.(أنظر:العقاد،2014/الباء،ص251) **(See: Al-Aqqad, 2014/Al-Ba, p. 251)**

والأمثلة على هذا النوع من المقارنات بين الشعر والنثر لدى المعاصرين متعددة؛ منها تلك الآراء الّتي التي يتطرّق إليها أحمد أمين في كتابه «النقد الأدبي» إذ يشير إلى أهمّ الفوارق الأساسية بين الشعر (الوزن، والقافية، والموسيقى، والاتصال المباشر بالشعور والعاطفة، والخيال والعاطفة، الإبهام والغموض) والنثر (المنطق الدقيق والوضوح التام، والاهتمام بالفكرة والعقل والاستدلال). (أنظر:أمين،1967،ج1،ص79-86)

ونستطيع أن نعتبر آراء محمد مندور في «الأدب وفنونه» من هذا الباب أيضًا، إذ يحدّد الخصائص الّتي يتميّز بها الشعر عن النثر في ثلاثة مقاييس أو خصائص وهي: 1. الموسيقى 2. أسلوب التعبير الشعري. 3. المضمون الشعري والملكات النفسية الّتي يصدر عنها هذا المضمون. (مندور،2000،ص30)

أمّا الدكتور *زكي مبارك*؛ فهو يعدّ أبرز المعاصرين في دراسة القضايا النقدية التي تختصّ بالنثر، إذ يبحث معلّلاً في كتابه الشهير*«النثر الفنّي في القرن الرابع»* عن نصيب النثر الفنّي من عناية النقاد القدامى.إنّه يرى أنّ النقاد القدامى لم يعطوا للنثر ما أعطوا للشعر من العناية:«فلسنا نجد في كتب النقد تلك الأبحاث المطوّلة التي يراد بها ردّ معاني الكتّاب إلى مصادرها الأولى على نحو ما فعلوا في درس معاني الشعر...».(مبارك،2012،ص19)

و يعتقد أنّ هذه المسألة تعود إلى وجه من وجوه الفروق بين الشعر و النثر:«فالشعر في نظر النقاد من العرب أكثر حظًّا من الفنّ وأولى بالنقد والوزن، والنثر مهما احتفل أصحابه بإتقانه وتجويده لم ينل من أنفس النقاد منزلة الشعر، ولذلك قلّت العناية بتقييد أوابده، والنص على ما فيه من ضروب الإبداع والابتكار أو دلائل الضعف والجمود.... والواقع أنّ الشعر أقرب إلى النفس من هذه الناحية، وهو بالذاكرة أعلق، وعلى الألسنة أسْير، بفضل القوافي والأوزان... أن التأليف في نقد النثر كان قليلًا بالإضافة إلى التأليف في نقد الشعر، ويرجع ذلك إلى أن القدماء كانوا يرون الشعر أرفع فنون الجمال، أما النثر؛ فكان في نظرهم أداة من أدوات التعبير عن الأغراض العلمية والسياسية والدينية، ولذلك كانوا حين ينقُدونه يتوجهون في الأغلب إلى ما فيه من معانٍ وأغراض قبل أن يعنوا بالنظر في أساليب الإنشاء؛ ظنًّا منهم أنّ الدقة لا تُطلب إلا من الشعراء». (المصدر السابق،صص20و28)

و بعد أن ينقد على آراء القدامى(مثل ابي هلال العسكري، و الثعالبي، و القيرواني، والقلقشندي) و يحلّل مناقشاتهم في مجال إيثار الشعر على النثر أو عكسه، فيعتقد:« إن الموضوعات هي التي تحدّد نوع الصّياغة، فلنعد إلى ذلك بكلمة حاسمة فنقول: إذا كان موضوع القول متصلًا بالمشاعر والعواطف والقلوب كان الشعر أوجب؛ لأنّ لغته أقدر على التأثير والإمتاع، وإذا كان الموضوع متصلًا بأعمال العقل والفهم والإدراك كان النثر أوجب؛ لأنّ لغته أقدر على الشرح والإيضاح والإفهام والتبيين والإقناع». (المصدر السابق،ص25)

و ها هو يشير إلى ضرورة العناية بالنثر في عصرنا الراهن قائلاً:« نحن نرى أن الوقت حان للعناية بالنثر ونقده وإحلاله المحل الأوّل من جهود الباحثين والناقدين، فإنّ النثر اليوم هو صاحب السلطان في المشرق والمغرب، والكُتَّاب يحتلون اليوم مكانة يصعب أن يتسامى إليها الشعراء؛ لأنّ النثر هو الأداة الطبيعية لنشر الآراء والمذاهب والعقائد، وزماننا مجنون بالسرعة في كلّ شيء، والشعر — كفنٍّ دقيق مثقل بالقوافي والأوزان — غير خليق بتقديم ما تحتاج إليه العقول صباح مساء من ألوان الغذاء العقلي والوجداني، وهو حين يجود يظل مقصورًا على بعض النوازع القلبية والنفسية التي لا تستريح إليها الجماهير إلا في لحظات الفراغ.وليس معنى هذا أنّ الشعر زالت دولته، لا، فإنه لا تزال لدينا جوانب وجدانية تتشوف إلى التغنّ

بالشعر البليغ؛ لأن الطبيعة لا تزال تتألق في خلق دواعي الشعر، ولا يزال في الدنيا نجوم تتألّق، وأزهار تتفتح، ولا تزال الأرض تذلّل خدها لمن يمشي عليها من أسراب الظبا»(المصدرالسابق،صص28-29)

وعلى هذا فإنّ النثر العربي في العصر الحديث أخذ يتخلّص من قيود أساليب عصر الانحدار فصار معدنا من معادن العلم والمعرفة كما أصبح لسان المجتمع والثقافة: «ولم يعد النثر الأدبي الحديث معرضاً للألفاظ الغريبة ومظهراً للمحسنات وضروب الزينة، بل غدا تعبيراً عن فكرة وجلاء لحقيقته... مما يمسّ الكاتب ومجتمعه مسّاً مباشراً ولاسيّما أنّ جعبة المعرفة اغتنت في هذا العصر بألوان لا تحصى من العلوم والثقافات والحقائق..». (الدقاق و الآخرون،1997،ص25) (**Al-Dakkak et al., 1997, p. 25**)

تأسيساً على ذلك؛ فإنّ غاية الكتابة في العصر الحديث تغيّرت تغيراً جوهرياً لمواكبة روح العصر «... غاية الكتابة قد تغيّرت تغيّراً أساسياً لتنسجم مع روح العصر. فلم تعد هذه الغاية إظهاراً لقدرة الكاتب على حشد ألوان المحسنات والزخارف ورصف الألفاظ وتنميق العبارات». (المصدرالسابق،صص24-25)

أمّا الّذي يجب ألا يغيب عن البال؛ فهو أنّ هناك فنونا مستجدة في النثر العربي كفنّ المسرحيات (مسرحيات توفيق الحكيم نموذجا) و فنّ القصة(قصص نجيب محفوظ نموذجا)و فن كتابة المقالة (كمقالات الأدباء المعاصرين نموذجا) و فن كتابة السيرة الذاتية (كتاب الايام لطه حسين نموذجا)، إذ أبلغت الأدب العربي ذروتها و شقّت طريقها إلى المحافل الأدبية و الأوساط العالمية بثمارها اليانعة و الناضجة. «كانت نتيجتها أشهى ثماراً وأنضر ازهاراً».(أنظر:الفاخوري، 1422،ص23)

الخاتمة:

توصّل الباحث إلى عدة نتائج حول موقف النقاد القدامى و المعاصرين من قضايا النثر، منها:

1. إنَّ الملاحظ في مصادر الأدب العربي القديم لا يجد آراء مطوّلة في المناقشات النقدية لتدلّ على اهتمام هؤلاء القدامى بدراسة النّثر في مجال تحديد تعريفه أو ذكر أنواعه أو تبيين أحكامه وسماته، في حين أنّهم أولوا عناية واسعة في البحث عن الشّعر وأنواعه وأبعاده. ولعلّهم تحدّثوا عن النثر لا باعتباره فنّاً قائماً بذاته بل تحدّثوا عنه في ظلّ البيان والبلاغة حديثاً يتّصف بالإبهام خالياً من التخصيص والتحديد، وإنّ ما ورد في حقّه من تعريفات فلا تتعدّى التقسيم والتصنيف. فهو باعتبار الشّكل ينقسم عندهم على خطب ورسائل، وباعتبار اللفظ يتفرّع إلى نثر مرسل ومزدوج ومسجّع. وبذلك فقد تبيّن لنا من خلال المقال أنّ النثر العربي بالنظر إلى مكانة الشّعر لم يحظّ عناية كافية في التراث النقدي.
2. إنّ النثر العربي تخطّى خطوات متعددة نحو الابتكار و التجديد من حيث الأسلوب و الأنواع و التوظيف الإجتماعي واستطاع أن يحقّق مهمّته الرئيسة ومكانته الشامخة في ساحة المجتمع و الثقافة، و كثيراً ما أشار النقاد إلى ما أمام النثر العربي من تحديّات و مهام و مسائل فنّية؛ ذلك لأنهم أدركوا قيمة النثر و دوره في بناء صرح الحضارة الإسلامية و لهذا السبب اتخذوا المزيد من الخطوات نحو التعددية و العولمة.

المصادر:

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (1408)، **مقدّمه ابن خلدون**، تحقيق خليل شهادة، ط2، بيروت، دارالفكر.
- ابن منظور، جمال‌الدين محمدبن مكرم (2005 م)، **لسان‌العرب**، دون مكان طبع.
- أمين، احمد (1967م)، **النقد الأدبي**، ط4، بيروت، دارالكتاب العربى.
- أنيس، ابراهيم و الآخرون (1972م)، **المعجم الوسيط**، ط 2، مصر، مجمع اللغه العربية بالقاهرة.
- التوحيدي، ابوحيان (1424)، **الامتاع و المؤانسة**، دون مكان طبع.
- الجاحظ، ابوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب (1424ه)، **الحيوان**، ط 2، بيروت، دارالكتب العلمية.
- حسن، حسين الحاج (1993م)، **أعلام في النثر العباسي**، ط 1، دار ابن كثير، دون مكان طبع.
- الدقاق، عمر و الآخرون،(1997م) **ملامح النثر الحديث و فنونه**، ط1، بيروت، دار الأوزراعى للطباعة و النشر و التوزيع.
- ضيف، شوقى (د.ت)، **الفن و مذاهبه في النثر العربي** ،مصر، دارالمعارف.
- عباس، احسان (1993م)، **تاريخ النقد الأدبي عندالعرب**، ط 2، عمان، دارالشروق.
- العقّاد، عباس محمود (2014م«الألف»)، **حياة القلم** ،مصر، مؤسسة هنداوى للثقافة و التعليم.
- العقّاد، عباس محمود (2014م«الباء»)، **ساعات بين الكتب** «الباء» مصر، مؤسسة هنداوى للثقافة و التعليم.
- الفاخوري، حنا (1986م)، **الجامع في تاريخ الأدب العربى (الأدب القديم)**، ط1، بيروت، دارالجيل.
- الفاخورى، حنا (1422)، **الجامع في تاريخ الأدب العربي، (العصر الحديث)**، ط1، بيروت، دارالجيل.
- القلقشندي، ابوالعباس شهاب‌الدين احمدبن أحمد (1922م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دون مكان طبع.
- القيرواني، ابن رشيق (1981م)، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده**، تحقيق: محمد محيى‌الدين عبدالحميد، ط 5، بيروت، دارالجيل.
- مبارك، زكى (2012م)، **النثر الفني في القرن الرابع**، مصر، مؤسسة هنداوى للثقافة و التعليم.
- مسكويه، ابوعلى و التوحيدى، ابوحيان (د.ت)، **الهوامل و الشوامل**، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- مندور، محمد (2000م)، **الأدب و فنونه**، القاهرة، دار نهضة مصر.

موافى، عثمان (1992م)، **في نظرية الأدب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربى القديم و الحديث**، مصر اسكندرية، دارالمعرفة

References:

Abbas, Hassan, (1993), ***History of literary criticism in Arabic literature***, 2nd edition, Oman, Dar Al-Shorough.

Al-Fakhouri, Hana (1986). ***Comprehensive history of Arabic literature (old literature)***, 1st edition, Beirut, Daroljeil.

Al-Fakhouri, Hana, (2001) ***Comprehensive history of Arabic literature (new era)***, 1st edition, Beirut, Dar Al-Jil.

Al-Aghad, Abbass Mahmoud, (2014a), ***Pen's life***, Egypt, Hendawi Institute of Culture and Education.

Al-Aghad, Abbass Mahmoud, (2014b), ***Browsing through books*** (b), Egypt, Hendawi Institute of Culture and Education.

Al-Daghagh, Omar & Al-Akharoun (1997), ***Features of contemporary prose and its arts***, 1st edition, Beirut, Al-Wezrai Publication, Prose, and Distribution House.

Al-Ghalghashandi, Abu Al-Abbass Shahab Al-Din Ahmad Ibn Ahmad, (1922), ***A clear guide for essay and letter writing,*** no publisher.

Al-Ghirvani, Ibn Rashigh (1981), ***Foundation of the advantages of poetry, its rules, and criticism,*** Research: Mohammad Mohyey Al-Din Abdol Hamid, 5th edition, Beirut, Darol Jil.

Al-Jahez, Abu Ottoman Omar & Ibn Bahrban Mahboub (2003), ***Animal***, 2nd edition, Beirut, Dar Al-Kotob Al-Elmiah.

Al-Tohidi, Abuhayan (2003), ***Utilization and matching***, no publisher.

Amin, Ahmad (1967), ***Literary criticism***, 4th edition, Beirut, Arabic Book House.

Anis, Abraham & Al-Akharoon (1972), ***Intermediate Mojam***, 2nd edition, Egypt, Association of Arabic Language in Cairo.

Hassan, Hossein Al-Haj (1993), ***Outstanding figures of Abbasi prose***, 1st edition, Dar Ibn Kathir, no publisher.

Ibn Khaldoun, Abdol Rahman Ibn Mohammad (1987), ***The introduction of Ibn Khaldoun,*** Reseaerch: Khalil Shahadah, 2nd edition, Beirut, Darol Fikr.

Ibn Manzour, Jamal al-Din Mohammad Ibn Mokram (2005), ***Arabic Dictionary***, no publisher.

Mandour, Mohammad (2000), ***Literature and its arts,*** Cairo, Egypt's Movement House.

Maskouyeh, Abu Ali & Al-Tohidi, Abu Hayan (no date), ***Questions and answers***, Egypt, Public Association of Cultural Houses.

Mawafi, Ottoman (1992), ***Literary theory with regard to the issues related to old and new poetry and prose.***

Mobarak, Zaki (2012), ***Technical prose in the 4th century***, Egypt, Hendawi Institute of Culture and Education.

Zif, Soghi (no date), ***The art and Style of Arabic prose***, Egypt, Darol Ma'aref.